

موازن الإدراك

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية



موازن الإدراك - آثار حضرة عبدالبهاء

هُوَ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْفُؤَادِ بُنُورَ الرَّشَادِ وَنَوَّرَ الْقُلُوبَ بِسُطُوعِ آيَاتِ الْقُدْسِ بِكُلِّ رَوْحٍ وَسَدَادٍ وَهَدَى الْمُخْلِصِينَ إِلَى مَعِينِ الْعِرْفَانِ بَيِّنَاتٍ ظَهَرَتْ فِي حَقِيقَةِ الْآيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ وَأَخْرَجَ الطَّالِبِينَ إِلَى عَالَمِ النُّورِ مِنْ بُجُوحَةِ الظُّلُمَاتِ، وَالصَّلَاةِ وَالتَّحِيَّةِ وَالثَّنَاءِ عَلَى النُّورِ السَّاطِعِ فِي زُجَاغَةِ الْقَلْبِ الْمُقَدَّسِ الطَّافِحِ بِالْبِشَارَاتِ، وَنَزَلَ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى فُؤَادِهِ بِالآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ وَاللَّهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَوْلِي الْبِرَاهِينَ وَالْمُحْجَجِ الْبَالِغَةَ بَيْنَ الْمُمَكِّنَاتِ وَوَسَائِطِ فَيْضِ الْحَقِّ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ.

فَاعْلَمْ يَا أَيُّهَا الْوَاقِفُ فِي صِرَاطِ اللَّهِ وَالْمُتَوَجِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْمُقْتَبِسُ مِنْ أَنْوَارِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ بَأَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْفُرْقَانِ بِصَحِيحِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ لَهَا سِرٌّ مَكْنُونٌ وَرَمَزٌ مَصُونٌ وَحَقِيقَةٌ لَامِعَةٌ وَشُؤْنٌ جَامِعَةٌ وَبَيِّنَاتٌ وَاضِحَةٌ وَحِجَّةٌ بِالْغَةِ عَلَى مَنْ فِي الْوُجُودِ مِنَ الرَّكْعِ السُّجُودِ، وَتَحْتَاجُ فِي بَيَانِ حَقِيقَتِهَا لِبَيْتِ تَفَاصِيلِ مِنْ مَوَازِينِ الْإِدْرَاكِ عِنْدَ الْقَوْمِ وَشَرْحِهَا وَدَحْضِهَا حَتَّى يَظْهَرَ وَيَتَحَقَّقَ بِالْعَيَانِ أَنَّ الْمِيزَانَ الْإِلَهِيَّ هُوَ الْفُؤَادُ وَمَنْبَعُ الرَّشَادِ، فَاعْلَمْ بَأَنَّ عِنْدَ الْقَوْمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ أَرْبَعَةٌ مَوَازِينُ يَزِنُونَ بِهَا الْحَقَائِقَ وَالْمَعَانِي وَالْمَسَائِلَ الْإِلَهِيَّةَ، وَكُلُّهَا نَاقِصَةٌ لَا تُرْوِي الْعَلِيلَ وَلَا تَشْفِي الْعَلِيلَ، وَلَنْذَكُرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنُبَيِّنَ نَقْصَهُ وَعَدَمَ صِدْقِهِ.

فَأَوَّلُ الْمَوَازِينِ مِيزَانُ الْحَسِّ وَهَذَا مِيزَانُ جُمْهُورِ فَلَاسِفَةِ الْإِفْرَنْجِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ مِيزَانٌ تَامٌ كَامِلٌ فَإِذَا حُكِمَ بِهِ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ فِيهِ شُبُهَةٌ وَارْتِيَابٌ، وَالْحَالُ أَنَّ دَلَائِلَ نَقْصِ هَذَا الْمِيزَانِ وَاضِحَةٌ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّرَابِ تَرَاهُ مَاءً عَذْبًا وَشَرَابًا، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْمَرَايَا تَرَى فِيهَا صُورًا تَتَيَقَّنُ أَنَّهَا مُحَقَّقَةُ الْوُجُودِ وَالْحَالُ إِنَّهَا مَعْدُومَةٌ الْحَقِيقَةِ بَلْ هِيَ أَنْعَكَاسَاتٌ فِي الزُّجَاغَاتِ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى النَّقْطَةِ الْجَوَالَةِ فِي الظُّلُمَاتِ ظَنَنْتَهَا دَائِرَةً أَوْ حَطًّا مُمْتَدًّا وَالْحَالُ إِنَّهَا لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ بَلْ يَتَرَاءَى لِلْأَبْصَارِ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّمَاءِ وَجُومِهَا الزَّاهِرَةِ رَأَيْتَ أَنَّهَا أَجْرَامٌ صَغِيرَةٌ وَالْحَالُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تَتَوَازَى أَمْثَالُ وَأَضْعَافُ كُرَّةِ الْأَرْضِ بِآلَافٍ، وَتَرَى الظِّلَّ سَاكِنًا وَالْحَالُ إِنَّهُ مُتَحَرِّكٌ، وَالشُّعَاعُ مُسْتَمِرًّا وَالْحَالُ إِنَّهُ مُنْقَطِعٌ، وَالْأَرْضُ



بَسِيطَةً مُسْتَوِيَةً وَالْحَالُ إِنَّهَا كَرَوِيَّةٌ، فَإِذَا ثَبَتَ بِأَنَّ الْحَسَّ الَّذِي هُوَ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ حَالُ كَوْنِهَا أَقْوَى الْقُوَى الْحِسِّيَّةِ نَاقِصَةٌ
الْمِيزَانِ مُخْتَلَةٌ الْبُرْهَانِ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي عِرْفَانِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْآثَارِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالشُّؤْنِ الْكُونِيَّةِ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الثَّانِي الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِشْرَاقِ وَالْحُكَمَاءُ الْمَشَاوُونَ هُوَ الْمِيزَانُ الْعَقْلِيُّ، وَهَكَذَا سَائِرُ طَوَائِفِ الْفَلَسَفَةِ الْأُولَى
فِي الْقُرُونِ الْأُولَى وَالْوَسْطَى، وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ فَهُوَ الثَّابِتُ الْوَاضِحُ الْمُبْرَهَنُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَيْبٌ وَلَا
شَكٌّ وَشَبْهَةٌ أَصْلًا وَقَطْعًا، فَهَوْلَاءِ الطَّوَائِفِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ حَالُ كَوْنِهِمْ اعْتَمَدُوا عَلَى الْمِيزَانِ الْعَقْلِيِّ فَاخْتَلَفُوا فِي جَمِيعِ الْمَسَائِلِ
وَتَشَتَّتْ آرَأُهُمْ فِي كُلِّ الْحَقَائِقِ، فَلَوْ كَانَ الْمِيزَانُ الْعَقْلِيُّ هُوَ الْمِيزَانُ الْعَادِلُ الصَّادِقُ الْمَتِينُ لَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْحَقَائِقِ وَالْمَسَائِلِ وَمَا
تَشَتَّتْ آرَأُ الْأَوَائِلِ وَالْآوَاخِرِ، فَسَبَبَ اخْتِلَافِهِمْ وَتَبَيَّنَهُمْ ثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ الْعَقْلِيَّ لَيْسَ بِكَامِلٍ فَإِنَّا إِذَا تَصَوَّرْنَا مِيزَانًا تَامًا لَوْ
وَزَنَتْ بِهَا مِائَةٌ أَلْفَ نَسْمَةٍ ثَقَلًا لَاتَّفَقُوا فِي الْكَيْفِيَّةِ، فَعَدَمَ اتِّفَاقِهِمْ بُرْهَانٌ كَافٍ وَافٍ عَلَى اخْتِلَالِ الْمِيزَانِ الْعَقْلِيِّ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الثَّقَلِيُّ وَهَذَا أَيْضًا مُخْتَلٌ فَلَا يَقْدُرُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْمُدْرِكُ لِلثَّقَلِ وَمُوزَنُ مِيزَانِهِ، فَإِذَا كَانَ
الْأَصْلُ مِيزَانَ الْعَقْلِ مُخْتَلًا فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ مُوزَنُهُ الثَّقَلِيُّ يُوَافِقُ الْحَقِيقَةَ وَيَفِيدُ الْيَقِينَ؟ وَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ مُبِينٌ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الرَّابِعُ فَهُوَ مِيزَانُ الْإِلْهَامِ فَالْإِلْهَامُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ خُطُورَاتِ قَلْبِيَّةٍ، وَالْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ أَيْضًا عِبَارَةٌ عَنْ خُطُورَاتِ
تَتَّبَعُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ وَارِدَاتِ نَفْسِيَّةٍ، فَإِذَا خَطَرَ بِقَلْبٍ أَحَدٌ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي أَوْ مَسْئَلَةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ فَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ أَنَّهَا
إِلْهَامَاتٌ رَحْمَانِيَّةٌ فَلَعَلَّهَا وَسَاوِسُ شَيْطَانِيَّةٌ.

فَإِذَا ثَبَتَ بِأَنَّ الْمَوَازِينَ الْمَوْجُودَةَ بَيْنَ الْقَوْمِ كُلِّهَا مُخْتَلَةٌ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْإِدْرَاكِاتِ بَلْ أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ وَظُنُونٌ وَأَوْهَامٌ لَا
يُرَوِّى الظَّمَانَ وَلَا يُغْنِي الطَّالِبَ لِلْعِرْفَانِ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الْحَقِيقِيُّ الْإِلَهِيُّ الَّذِي لَا يَخْتَلُ أَبَدًا وَلَا يَنْفَكُ يُدْرِكُ الْحَقَائِقَ الْكَلِمِيَّةَ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةَ فَهُوَ مِيزَانُ الْفُؤَادِ الَّذِي ذَكَرَهُ
اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، لِأَنَّهُ مِنْ تَجَلِّيَاتِ سَطُوعِ أَنْوَارِ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ وَالسِّرِّ الرَّحْمَانِيِّ وَالظُّهُورِ الْوَجْدَانِيِّ وَالرَّمْزِ الرَّبَّانِيِّ وَإِنَّهُ
لَفَيْضٌ قَدِيمٌ وَنُورٌ مُبِينٌ وَجُودٌ عَظِيمٌ، فَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيَائِهِ وَأَفَاضَ عَلَى الْمُوقِنِينَ مِنْ أَحِبَّائِهِ عِنْدَ ذَلِكَ يَصِلُ
إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا أزدَدْتُ يَقِينًا]، لِأَنَّ النَّظَرَ وَالاسْتِدْلَالَ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ مِنَ
الضَّعْفِ وَالْإِدْرَاكِ، فَإِنَّ النَّتِيجَةَ مَنْوُطَةٌ بِمُقْتَضِيَّاتِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهَمَّا جَعَلَتِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى يَنْتِجُ مِنْهُمَا نَتِيجَةٌ لَا
يُمْكِنُ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهَا حَيْثُ اخْتَلَفَتْ آرَأُ الْحُكَمَاءِ، فَإِذَا يَا أَيُّهَا الْمُتَوَجِّهُ إِلَى اللَّهِ طَهَّرَ الْفُؤَادَ عَنْ كُلِّ شُؤْنٍ مَانِعَةٍ عَنِ السَّادِ فِي
حَقِيقَةِ الرَّشَادِ وَزَنَ كُلَّ الْمَسَائِلِ الْإِلَهِيَّةِ بِهَذَا الْمِيزَانِ الْعَادِلِ الصَّادِقِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَيْنَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَالنَّبِيِّ الْعَظِيمِ،
لِتَشْرَبَ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ وَتَمْتَعَ بِحَقِّ الْيَقِينِ وَتَهْتَدِيَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَتَسْلُكَ فِي الْمَنْجِ الْقَوِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(عبدالبهاء عباس) من مكاتيب حضرة عبدالبهاء، المجلد ١، الصفحة ٨٣

موازن الإدراك

إنّ موازين الإدراك أربعة لا غير كما هو مسلمّ به. يعني أنّ إدراك حقائق الأشياء إنّما يكون بهذه الموازين الأربعة:

فالأول ميزان الحسّ، وكلّ ما يدرك بالعين والأذن والشمّ والذوق واللمس يسمّى محسوساً، وإنّ فلاسفة أوروبا اليوم يعتبرون هذا أتمّ ميزان ويقولون إنّ الحسّ أعظم الموازين ويعتبرونه مقدّساً، والحال أنّ ميزان الحسّ ناقص لأنّه يخطئ، مثلاً إنّ البصر وهو أعظم قوى الحسّ قد يرى السراب ماء، ويرى الصّور المرئية في المرآة حقيقة موجودة، والأجسام الكبيرة صغيرة، والنقطة الجوّالة دائرة، ويرى الأرض ساكنة والشمس متحركة إلى غير ذلك من الخطأ في كثير من الأمور، فلهذا لا يجوز الاعتماد عليه.

والثاني ميزان العقل وكان ميزان الإدراك لدى الفلاسفة الأول أساطين الحكمة، فكانوا يستدلّون بالعقل ويتشبّثون بالدلائل العقلية، لأنّ استدلالاتهم جميعها عقلية، ومع وجود هذا فقد اختلفوا كثيراً وكانت آراؤهم مختلفة، حتّى كانوا يغيرون فكرهم يعني أنّهم كانوا يستدلّون على وجود مسألة ما بالدلائل العقلية مدّة عشرين سنة، وبعدئذ ينفونها بالدلائل العقلية، حتّى أنّ أفلاطون أثبت في البداية بالأدلة العقلية سكون الأرض وحركة الشمس، ثم أثبت بعد ذلك بالدلائل العقلية أنّ الشمس مركز الأرض متحركة، وبعده اشتهرت نظرية بطليموس ونسيت نظرية أفلاطون بالكلية وقد أحيا الرّاصد الجديد أخيراً هذا الرّأي مرّة أخرى، وحيث أنّ حضرات الرياضيين اختلفوا حال أنّهم جميعاً كانوا يستدلّون بالدلائل العقلية، وحيث أنّهم كانوا يثبتون مسألة بالدلائل العقلية في فترة من الزمن ثم ينفونها أيضاً بالدلائل العقلية، مثال ذلك أنّ فيلسوفاً كان ثابتاً على رأي مدّة وقيم الأدلة والبراهين عليه وبعد مضي فترة ينصرف عن ذلك الرّأي وينفيه بالدليل العقلي، إذا تبيّن أنّ ميزان العقل ليس ميزاناً تاماً، لأنّ اختلاف الفلاسفة الأول وعدم ثباتهم وتبديل أفكارهم دليل على أنّ ميزان العقل غير تام، إذ لو كان ميزان العقل تاماً لوجب أن يكونوا جميعاً متفقين في الرّأي متّحدين في الفكر.

والميزان الثالث ميزان النّقل وهو النّصوص التي ينقلها النّاس من الكتب المقدّسة فيقولون جاء في التّوراة كذا، وقال في الإنجيل كذا، وهذا الميزان أيضاً ليس تاماً، لأنّ المنقول يدرك بالعقل، وبما أنّ العقل نفسه قد يخطئ فكيف يصحّ أن يقال أنّ إدراكه لمعاني الأقوال المنقولة واستنباطها عين الصّواب وأنّه لا يخطئ في ذلك، إذ من الممكن حصول الخطأ ولذلك لا يكون هناك يقين، وهذا هو ميزان رؤساء الأديان، فما يعرفونه من نصوص الكتاب هو إدراكاتهم العقلية التي عرفوها من تلك النّصوص لا حقيقة الواقع، لأنّ العقل كالميزان والمعاني المدركة من النّصوص كالشيء الموزون، فإذا اختلف الميزان فكيف يعلم قدر الموزون.

إذا فاعلم أنّ معتقد النّاس وما بين أيديهم يحتمل الخطأ لأنّه إذا جيء بالدليل الحسيّ لإثبات شيء أو نفيه فهو ميزان غير تامّ كما سبق بيانه، ولو جيء بالدليل العقليّ فهو أيضاً غير تامّ، ولو جيء بالدليل النقليّ فهو أيضاً غير تامّ، فاتّضح من هذا أنّه ليس في يد الخلق ميزان يعتمد عليه، بل إنّ الميزان الصّحيح الذي لا شكّ فيه ولا شبهة مطلقاً هو فيض روح القدس والتأييدات الإلهية للإنسان بروح القدس، وفي ذلك المقام يحصل اليقين. (عبدالبهاء عبّاس) من مفاوضات حضرة عبدالبهاء